لابد وهاتي اعتبارها بشرف الموضوع وشرف المسائل لكونها يقينية وشرف الغاية فلا مشرف للعلوم
الظنية باعتبار المسائل اذا عرفت هذا فلتحض الاستدلال ان علم البلاغة يعرف به الاعجاز فهو اجل
من موضوعهن بسائر العلوم العربية واجل غاية اما الاول فلانه باحث عن اللفظ العربي البليغ من حيث
فيتعلق به الاعجاز واللفظ العربي العاري عن هذه الحيثية وهو موضوع العلوم العربية واما الثاني فلان غاية
التصديق بجميع ما جاء به النبي على ما قيل او التصديق بان القرآن كلام الله تعالى وهو اجل من غايات سائر العلوم
العربية وبهذا ظهر ضعف ما قال الشارح المحقق من ان علم البلاغة ان القرآن معجز وهذه وسيلة الى التصديق
النبي عم في جميع ما جاء به ليقتفي اثره فيفاز بالسعادة الدنيوية والاخروية فيكون من اجل العلوم لكون معلوم
من اجل المعلومات وغايته من اعظم الغايات موقوفة ان القرآن معجز غاية هذا العلوم وليس منه ولا شرف لهذا العلم
باعتبار مسائله لانه ظني في نظم القرآن استادها نظم القرآن تاليف كلماته مترتبة المعاني متناسقة الدلالة
على حسب ما يقتضيه العقل بخلاف نظم الحروف فانه توالي بها من غير اعتبار معنى يقتضيه حتى لو قيل مكان ضرب
ربض لم يخل بنظم الحروف وليس الاعجاز بمجرد الالفاظ والا لما كان للطائف العلمين مدخل فيه لانها لا يتعلق
بنفس اللفظ فلذا اختار النظم على اللفظ ولان فيه استعارة لطيفة متضمنة لجعل كلمات القرآن كالدرر كذا
في الشرح وفيه اولا ان النظم ليس بمجرد تاليف كلماته على الوجه المذكور بل يكون تاليف اجزائها ايضا والا لتم
بدونه تاليف جمله ايضا كذلك اذ النظم كما يتعلق بكلامين او اكثر فالصواب والنظم تاليف اجزائه الى آخره
والنظم يتحقق بمجرد ترتيب المعاني من غير تناسق الدلالة اذ لم يكن في الكلام لفظ مجازي كما في سورة قل
هو الله احد وثانيا انه لولا الداعي الى ذكر النظم لقيل عن وجوه الاعجاز في القرآن اذ لا داعي الى ذكر اللفظ
فالداعي ليس لترجيحه على اللفظ بل الترجيح ذكره على تركه وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم مسمى كتاب
مفتاح العلوم لانه مفتاح العلوم التسعة التي اشتمل عليها من الصرف والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان
والبديع والقوافي والعروض والنطق اولانه مفتاح للعلوم كلها لانه يورث الناظر فيه قوة يتمكن بها
من تحصيل تلك العلوم وجعله مفتاحا اشارة الى ان فيض العلم من الفياض الوهاب والكتاب ليس الا كالمفتاح
باب فيضه لاولي الالباب الذي صنفه الفاضل العلامة ابو يعقوب يوسف السكاكي تغمده الله بغفرانه

في التعبير

في التعبير جعله مفعولا بتقديره بالغفران اشارة لطيفة الى تشبيهه بالسيف القاطع في حدة القريحة اعظم
خبر كان العظيم فوق الكبير كما ان مقابله اعني الحقير دون الصغير الذي يقابل الكبير صرح به الزمخشري في تفسير
ولهم عذاب عظيم ما صنف فيه من الكتب المشهورة بيان لفاعل صنف وفي ذلك البيان مزيد مبالغة
في نفعه اذ الاشتهار لا يكون الا للنفع وصيانة عن تهمة الكذب اذ دعوى الاطلاع على جميع ما صنف فيه
ودعوى اثبات النفع العظيم لجميع ما صنف فيه بعيدة عن مظنة التصديق وانما جعلنا البيان للمفرد دون ما
كما في الشرح لان البيان حال عن المبين وما صنف مضاف اليه وليس فاعلا ولا مفعولا ولكن في مقارنة زمان
الاشتهار لزمان التصنيف نظر محوج محتاج دفعه الى تكلف وجعل القسم الثالث كتابا وهو بعض من الكتاب
ايضا يستدعي تكلف نفعا لابد من اعتبار مضاف اي لما كان نفع القسم الثالث اعظم من نفع ما صنف فيه فنفعا
اما تمييز عن نسبة كان الى القسم الثالث فتقدير المضاف فيما صنف فيه واما عن نسبة اعظم الى ما صنف فيه
فتقديره في القسم الثالث وكانه مراد الشارح حيث قال تمييز من اعظم وجعله تمييزا عن المشهورة بعيد
وان كانت اقرب اي المشهود نفعها وبين كونه اعظم نفعا بكونه جامعا لثلاثة امور كل منها مشتمل على عظم
انفع الا بحل من الثلثة كما يشعر به كلام الشارح حيث جعل قوله واتمها تحريرا في قوة ولكونه اتمها تحريرا
وقوله واكثرها للاصول جمعا في تقدير ولكونه اكثرها للاصول جمعا كلاما مستجمعا ويكون قوله لكونه
احسنها ترتيبا واتمها تحريرا مشتملا على صنعة الموازنة والترتيب اما كون حسن الترتيب سببا لعظم النفع
فلانه لما حسن الترتيب وجد كل مقصد في محله فلا يفوت الطالب واما كون تمام التحرير سببا فلانه
اذا خلا عن الزوائد وما لا نفع فيه لم يكن للناظر فيه تضييع وقت ويكون خالص النفع فيعظم نفعه
واما كون كثرة الاصول سببا فظاهر واعلم انه قوله وكان القسم الثالث الى قوله نفعا قوة يعادلها قوله لكونه
احسنها ترتيبا واتمها تحريرا واكثرها للاصول جمعا فقد يعتقد من قال الاولى ان يقول اعظم ما صنف
فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه اكثرها للاصول جمعا يكون كلاما مستجمعا ويكون قوله لكونه احسنها
ترتيبا واتمها تحريرا مشتملا على صنعة الموازنة والترتيب جعل كل شيء من المجموع في مرتبة والتحرير جعل الشيء
حرا استعير لاخذ الخلاصة واظهارها فان الكلام المقتصر على الخلاصة منزه عن فضل الاشتمال على الحشو

Copyright © King Saud University